مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/ العـدد: 01 (2022)، ص 1102- 1124

القيم الاجتماعية في زمن العولمة – جامعة الجزائر 2

Socials values in the global ira – university of Algiers 2

الحيرش هند[1]، تومي عبد القادر[2]

[1] مخبر الجماليات والفنون والفلسفة المعاصرة (الجزائر 2).

Elhirechehind@hotmail.com

[2] المدرسة العليا للأساتذة (الجزائر). toumikader@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/10 تاريخ القبول: 2022/01/12 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

لقد روجت العولمة لقيم جديدة متغيرة عن القيم التي تشترك فيها الانسانية خاصة الاجتماعية التي تحمل في ثناياها ما يجسد و يمثل ثقافة ،هوية، دين ،لغة المجتمعات التي خضعت لتغير الاجتماعي و تأثرت العولمة التي غزت العالم و هيمنت على جميع الميادين ففقدت الدول سيطرتها الكلية في زمن العولمة ما أدى ذوبان القيم الاجتماعية الجماعية التي ينشدها الأفراد فالهدف من هذه الدراسة إبراز القيم الاجتماعية في زمن العولمة و اثارها على هذه القيم و تهديدها بفرض سيطرتها على سائر ثقافات العالم و خلق أزمة الهوية و التفسخ الثقافي و هذه الدراسة أبرزت خطورة اختلال التوازن في القيم الاجتماعية و فرض قيم جديدة كذلك محاولة إيجاد بعض الحلول و الاقتراحات التي قد تساهم في التصدي لهذه الحرب الثقافية وسياستها و همجيتها.

الكلمات المفتاحية: القيم الاجتماعية، التغير الاجتماعي، العولمة، التفسخ الثقافي، أزمة الهوية الحرب الثقافية، تحديات العولمة.

Abstract:

Globalization brings new values that are deferente than from those shared by humanity, especially social ones, which

represents a culture, identity, religion, and the language of societies that have undergone social change.

Globalization, which invaded the world and dominated all fields, affected countries lost their total control in a time of globalization, resulting in the melting of the collective social values sought by individuals.

The aim of this study is to highlight social values in a time of globalization and to raise them on these values and threaten to impose their control over the rest of the cultures of the world and create a crisis of identity and cultural disintegration.

This study aulso highlighted the seriousness of the imbalance in social values and the imposition of new values as well as trying to find some solutions and suggestions that may contribute to addressing this cultural conflict and its policy and barbarity

Keys words: Social values, social change, globalization, cultural disintegration, identity crisis, challenges of globalization.

المؤلف المرسل: الحيرش هند

1. مقدمة:

إن المجتمعات البشرية مرتبطة دوما بنمط معيشة الأفراد ما يبرز ثقافة المجتمع القائمة على مجموعة من القيم يستجيب ويخضع لها أفراد المجتمع على للتعايش السليم وإمكانية التوافق والتواصل بين أفراد المجتمع بأنماط كثيرة من السلوكات الصادرة منهم وهذا يقودنا إلى ضرورة مسايرة نظام العيش ضمن مجموعة من القيم التي تعتبر من أهم الركائز التي تبنى عليها المجتمعات وتقوم عليها الأمم، وتتعلق القيم بالأخلاق والمبادئ وهي معايير عامة وضابطة للسلوك البشري الصحيح وهي الخصائص أو الصفات المحببة والمرغوب فيها لدى أفراد

المجتمع والتي تحددها ثقافته مثل التسامح، القوة، الدين، التربية، التعليم ... لكن من خصائص المجتمع دائما التغير والتطور وهذا لحفظ البقاء واستمراريته في ظل حركة المجتمعات والتطور البشري فالتغير البشري هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء بمعنى أن البناء الاجتماعي في كل فترة تتحول وتتغير وهذا التغير يطال كل الأجهزة الاجتماعية والنظر والأنساق فيقول جي روشيه (**Ji Rocher** 1968) في كتابه التغير الاجتماعي إلى "أن التغير الاجتماعي يعني كل تحول (**transformation**) في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن ولا يكون مؤقتا سريع الزوال لدلى فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياتها" فأي تغير يحدث في الحياة الاجتماعية يقابله تغيرات أخرى في كافة وجميع جوانب الحياة وأبرزها القيم الاجتماعية.

ومن التغيرات التي مست العالم بجميع شعوبه وأجناسه وثقافته ظهور العولمة الذي تصاحبت معه عدة تغيرات ما أثرت وتأثرت بها القيم الاجتماعية لا يقتصر على جانب واحد دون الآخر بل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية وهذا التأثير والتأثر يصعب إيقافه لما يوجد من ترابط وتساند وظيفي بين النظم الاجتماعية والتغير الاجتماعي والقيم الاجتماعية والعولمة فهناك من نظر نظرة تشاؤمية للعولمة وما ينتج عمن تغير الاجتماعي بالأخص على ركيزته الأساسية القيم الاجتماعية خوفا من المستقبل وأنهم يرون أن القيم كانت أفضل حالا مما هي عليه اليوم وبين من ينظر للعولمة وتغييرها للقيم نظرة تفاؤلية معتبرة أن الحالة الراهنة أحسن وأكثر تميزا وفعالية عما كانت عليه سابقا ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا عدة تساؤلات

ما المقصود بالقيم؟

ما المقصود بالتغير الاجتماعي؟

ما العولمة؟ وهل القيم الاجتماعية تغيرت في ظل العولمة؟ وكيف اثرت العولمة على القيم؟

كيف أصبحت القيم الاجتماعية في زمن العولمة.

2. مقاربة مفاهيمية:

1.2 مفهوم القيم الاجتماعية وأهميتها:

تعمل القيم الاجتماعية بمثابة خطاب اجتماعي يحدد طبيعة المجتمع فحياة أفراده وعلاقتهم وسلوكهم وروابطهم تنمو وتتقدم عن طريق القيم التي تعتبر الركيزة الأساسية تجسد صورة لانعكاس سلوك الأفراد واتجاهاتهم ومعايير وقواعد تفكيرهم ومعالمهم وثقافتهم وتبرز هويتهم ويحملها الفرد من تلك المعتقدات والمبادئ المكتسبة من أوجه النشاط المختلفة والمعاني.

إن الواقع الموضوعي للحياة والخبرة الإنسانية تجعل القيم جزء منه فالقيم وليدة الواقع الحياتي الاجتماعي فلا يمكن أن نتجرد من هذه القيم بخيرها وشرها في كل انتقاءاته.

فالقيم في علم الاجتماع هي مستوى أو معيار للانتقاء من بين بدائل أو ممكنات اجتماعية متاحة أمام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي(خليفة، 1992، صفحة 32).

أما في علم النفس يرى "سميث" أن القيمة تطلق على كل ما هو جدير باهتمام الفرد لاعتبارات مادية او معنوية او اجتماعية او أخلاقية أو دينية أو جمالية(المصايطة، 2000، صفحة 185).

أما في الجانب الديني فباختلاف الديانات السماوية جاء الدين ليغرس القيم في الانسان ويتحرك في إطارها فالقيم الاجتماعية تمتد لتصل لوحدة الانسان والسلوك.

أما المفهوم الفلسفي فلقد تباينت الاتجاهات بين أن القيم والأخلاق والعلم والجمال كما أعدها كانط مصدرها العقل وبين من يرى مصدرها الواقع الحياتي فلقد تعددت القيم يتعدد جوانب حياة الإنسان ونظمه الاجتماعية فتحتوي القيم من منظور "ووكيتش" على ثلاثة عناصر المكون المعرفي القائم على إدراك موضوع القيمة وتميزه بالعقل والتفكير، والمكون الوجداني ويشمل الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الداخلية، فيشعر الفرد بالسعادة لمجرد اختياره القيمة التي يعتز بها والمكون السلوكي القائم على السلوك الفعلي وهو ما يفسر القيام بالفعل والتعرف به للعلن.

تلعب القيم الاجتماعية دورا هاما وحاسما في البناء الاجتماعي فهناك تأثير وتأثر مشترك بين كل من البناء الاجتماعي والقيم فهي موجودة ومتداولة داخل كل المجتمعات باختلاف انتماءاتها العرقية والسياسية والأخلاقية والسادية والدينية والثقافية فهي تدفعنا إلى تفضيل أو تبني إيديولوجية سياسية او دينية دون الأخرى وذلك لتحديد هوية الفرد واختياراته ما تجعل الفرد متوازنا متصالحا مع ذاته ما يبرز تماسك المجتمع في إطار موحد برسم ملامح وخطوط ويكون صورة عن طبيعة المجتمع وبنائه ومنظومته ونظامه.

2.2التغير الاجتماعي والثقافي:

تعاني المجتمعات اليوم الكثير من المشاكل والانحرافات السلوكية وتدهور القيم الثقافية التقليدية وبروز قيم جديدة كالحروب والصراعات والتخلف والتغير الاجتماعي من عدة جوانب متأثرا بالعولمة ما أدت إلى فقدان القيم الروحية والإنسانية وانتشار ثقافة السيطرة، العلم، اللامبالاة.

فلقد تعددت الرؤى حول تعديد مفهوم التغير الاجتماعي فالتغير الاجتماعي ما هو إلا تحول بتاتي يطرأ على المجتمع في تركيبه السكاني وظواهره الاجتماعية والعلاقات بين أفراده وما يصاحب ذلك من تغيرات في القيم والاتجاهات وأنماط

السلوك المختلفة. يعرف كذلك بكل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية والاتجاهات والنظم والأعراف والعادات والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع وذلك بهدف مواكبة التغير وإيجاد الوسائل والبدائل المناسبة والمقبولة داخل المجتمع للتأقلم معه.

يرى عبد الباسط محمد حسن بأن التغير الاجتماعي الموكل تحول يقع في مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية محددة، ويصبب تركيبه أو بنيانه الطبيعي أو نظمه الاجتماعية أو القيم أو المعايير السائدة أو أنماط السلوك أو نوع العلاقات السائدة، وقد يكون التغير ماديا يستهدف تغير الجوانب المادية والتكنولوجية والاقتصادية، وقد يكون التغير معنويا يستهدف تغير اتجاهات الناس وقيمهم وعاداتهم وسلوكهم(حسن، 1964، صفحة 49).

فالمجتمع بطبيعته يخضع للتغير كن هناك تغير اجتماعي الذي يطرأ على العلاقات الاجتماعية والتغير الثقافي الذي يمس القيم والمعتقدات والمثل وهوية المجتمع وبالتالي هناك طرق بينهما فالتغير الاجتماعي جزء من التغير الثقافي الذي يشير إلى التغير في القيم والأفكار والمعتقدات والمعايير فهو يشمل جميع التغيرات التي تحدث في المجتمع وفي أي فرع كالعلم، التكنولوجيا، الفن، الدين ... أي تغيير اجتماعي نتيجة التغير الثقافي.

ويتجلى التغير في كل مظاهر الحياة الاجتماعية لبناء المجتمع الذي على أساسه تقوم الغدارة الإنسانية لبناء المجتمع وتنميته وتطويره وتحديثه ونموه.

وعلى مر العصور والسنين لا وجود لمجتمع لا يتغير ولا يتطور على مر العصور والأجيال سواء اجتماعيا سواء ثقافيا، اقتصاديا، سياسيا، عسكريا، فالتغير أمر محتوم فالمجتمع مرتبط بالعديد من المؤسسات الاجتماعية والأماكن المختلفة كالجامعات، المدرسة، الشركات ... فالثقافة أساس أي تغير أو تطور اجتماعي فعندما يحدث أي تغير ثقافي في بيئة مجتمع يؤدي إلى التغير الاجتماعي.

3. العولمة وأثرها على القيم الاجتماعية:

لقد ارتبطت العولمة بالتقدم العلمي والتكنولوجي الذي ساهم في التغير الاجتماعي وتطور المجتمع عبر مراحل تاريخية مختلفة فهي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل فهي إذا مصطلح يعني جعل العالم عالما واحدا موجها توجيها واحدا في إطار حضارة واحدة ولذلك قد سمي الكونية أو الكوكبة ويصفها وليد عودة بقوله " هي موجة جارفة من التحولات الاقتصادية والتقنية عبر العالم لا تتقيد بحدود أو ضوابط ولا يمكن التحكم بها"(عودة، أفريل 1997، صفحة 193)

فتراجعت القيم الإنسانية الاجتماعية الثقافية لتحل محلها قيم ذات صيغة نفعية برماجيتية حيث أن العولمة اهتمت بالقيم الربحية والنفعية والكسب والاستهلاك والإنتاج والربح والمرابحة.

فالعولمة تسعى لصياغة ثقافة كونية شاملة تمس مختلف جوانب النشاط الإنساني وتكون ما يسمى بالقواعد الأخلاقية الكونية وهذا ما أثرت به على مختلف القيم الاجتماعية الثقافية الدينية والسياسية، الأخلاقية فلم تترك ثغرة أو هفوة لم تطلها العولمة ما أثر على القيم وأدى لظهور قيم جديدة تتماشى وثقافة وسيطرة وهيمنة وقوة الدول المسيرة.

1.3 العولمة والتفسخ والثقافي وأزمة الهوية:

إن دراسة تأثير العولمة على تطور ثقافات العالم تكشف لنا عن وجود خمسة توجهات كبرى يمكنها أن تزعزع النظام الجيوثقافي للعالم. أول هذه التوجهات مرتبط بعلاقة الثقافة بالاقتصاد؛ إنها تعلن لنا عن قيم جديدة ستهيمن مستقبلا على تطور الرأسمالية. أما التوجه الثاني فيخص العلاقة الجديدة التي يبدو أنها تتجسد بين الثقافة والجيوسياسة. فهناك الكثير من يتكلم الآن، ودون تردد، عن حرب الثقافات بوصفها عاملا محددا للعلاقات الدولية.

وأما التوجه الثالث فمرتبط بعلاقة الثقافة بالسياسة. فظهور ثقافة شاملة تتجاوز الحدود الثقافية التقليدية تسير في اتجاه معاكس لإثبات وتأكيد الدولة الوطنية. وأما التوجه الرابع، فيخص العلاقة بين الثقافات نفسها، حيث لن يقتصر الأمر على تكريس التمييز الكلاسيكي بين الثقافات المهيمنة الجريئة، المبدعة المنتجة للمعنى، من جهة، وبين الثقافات المقهورة المحبِطة، العقيمة السلبية، من جهة ثانية، بل سيتضاعف هذا التمييز بمزيد من الهدم للثقافات المهمّشة. وأخيرا التوجه الخامس الذي يخص علاقة الثقافة بالمجتمع، حيث يؤدي الاندماج التدريجي لمجموعة كبيرة من النخب العالمية في ثقافة عالمية واحدة تهيمن عليها قيم المجتمعات المتقدمة إلى تفكك كثير من الثقافات الوطنية، وتصبح، بسبب ذلك، قطاعات إنسانية بكاملها فارغة من المعنى، ويتولد عن ذلك ظروف تساعد على التفسخ الثقافي الذي ينتج عنه . بدوره . بروز نوع من أشكال الهمجية داخل مراكز الحضارة نفسها(Burhan, p. 265).

2.3 الاقتصاد والثقافة: نحو مركانتالية ثقافية ذات بعد عالمي:

إن تكييف الثقافة مع المنطق الاقتصادي وإخضاعها له يؤثر مباشرة على تطور جوهر الثقافة، حيث يؤدي تعميم قيم المجتمع الاستهلاكي وعولمتها إلى تغيير حقيقي للذهنيات والعادات والأخلاق سواء بالنسبة إلى النخب الاجتماعية أو بالنسبة إلى الطبقات المحرومة. فإذا كان الاستهلاك عاملا أساسيا في إنتاج المعنى والقيمة عند عامة الناس، فإن القيم الحقيقية التي تحملها الثقافة المعولمة هي فك الارتباط الاجتماعي والسياسي والأخلاقي من أجل تحقيق النجاح الفردي والاستراتيجيات المهنية. فقد أصبح النجاح وإثبات الذات والفعالية والحركية هي التي تشكل نواة الإيطيقا البرجوازية، أما إيطيقا القيم والتقاليد والمعارف التي يصعب تجسيدها في صورة نجاح فإنها مرفوضة بوصفها غير مجدية وبلا معنى(Burhan, p. 266). إن جعل الثقافة في خدمة الفعل المهيمن ليست سوى

بعد ديناميكي للاستهلاك السلبي الذي يمثل سندا للفردية والأنانية التي تحل محل القيم المكونة للأخلاق المعهودة مثل الحرية والأخوة والمساواة، أو بعبارة أخرى، قيم المواطنة.

3.3 الثقافة والهيمنة العالمية: التحكم في الثقافية هي مفتاح نجاح السيطرة الشاملة:

إن قطاع صناعة الثقافة، وبخاصة الإعلام، هو القطاع الأول الذي تحدث فيه الأشكال الجديدة للهيمنة، حيث تتركز فيه رؤوس الأموال والاستثمارات بشكل لافت للانتباه مقارنة بالقطاعات الأخرى، وحيث تستحوذ كبريات الشركات الإعلامية على البنى التحتية للثقافة؛ تلك الشركات التي تدعو بقوة إلى التحرير السريع للتبادل في مجال الاتصال والنشر. وعلى عكس ما تروِّج له الليبرالية الجديدة، فإن هذه الشركات لا تنشط بصورة مستقلة عن السياسة وبمعزل عن كل استراتيجية للهيمنة وصناعة القرار. إنها تستفيد، ولو بطريقة غير مباشرة، من التمويل ومن المساندة السياسية من قبل القوى السياسية العظمى المتمركزة أساسا في أمريكا وأوربا، وخير دليل على ذلك الاستثمارات الضخمة في المجال العسكري والعلمي، والمطالبة الملحة لهذه القوى بالدفاع عن مصالحها التي تصفها بالحيوية. وهذا الوضع، يؤدي بداهة إلى إقصاء الدول الصغيرة من ساحة المنافسة الجديدة لتتركها تتعارك فيما بينها على أسواق أقل أهمية وذات مستوى تكنولوجي رديء، وبالتالي، تكون هناك رداءة في الإنتاج الثقافي. وهي الهيمنة نفسها التي نجدها في مجال الشبكات الإعلامية مثل الأنترنت وبنوك المعلومات والقنوات الفضائية، حيث تمتد هذه الهيمنة إلى كل المستويات من ملكية وتسيير وبرمجة وإنتاج تقني. وإذا كانت العولمة تعمق الهُوَّة بين الدول القوية والدول الضعيفة وتساهم بقوة في تأخر هذه الأخيرة وتهميشها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي،

فإنها بذلك تُقوّي تحكمها فيها وهيمنتها عليها، وبالتالي تحكمها في توجيه مستقبل العالم.

وفي واقع الأمر، ليس بإمكان أية أمة، اليوم، أن تؤسس لاستراتيجية ناجعة لضمان أمنها وبقائها دون التحكم في مجال الإعلام والاتصال. وفي مقابل ذلك، فإن بعض الأمم المتطورة وحدها تستطيع أن تفرض نفسها في الساحة الدولية، لأن التحكم في التقنيات الجديدة في مجال الإعلام والاتصال ليس ضروريا للتفوق في المنافسة الاقتصادية فحسب، بل هو أيضا مفتاح الهيمنة على كل مجالات العلاقات العالمية.

4.3 استراتيجة الحرب الثقافية: التنمر والتخويف:

بالموازاة مع تنامي دور الثقافة والصناعة الثقافية في تقوية الأمم، فإن هناك إيديولوجية جديدة يمكن تسميتها بصدام الثقافات. فعلى عكس ما كانت تذهب إليه الماركسية والليبرالية الكلاسيكية اللتان كانتا تركزن على العوامل الاقتصادية والسياسية بوصفها مصدرا للتوتر والتناقض، فإن هذه الإيديولوجيا الجديدة تؤكد أن الاختلاف الثقافي هو المحرك الأساسي لهذا التوتر، لأنه ينتج الصراعات التي لا يمكن حلها وفضها إلا بالقضاء على أحد الأطراف المتصارعة، أعني الثقافات. فلم يعد موضوع الصراعات اليوم هو رهانات مادية أو سياسية يمكن تحديدها بصورة واضحة وموضوعية، بل رهانات رمزية لا يمكنها أن تتغير ولا أن تكون موضوع للمناقشة أوالتسوية. إن حرب الثقافات حي حرب لا تنتهي إلا بالقضاء على الآخر، أي بالقضاء عليه كهوية ثقافية، وبالتالي القضاء عليه ككيان سياسي؛ إنها حرب تؤدي مباشرة إلى التصفية العرقية، بل إلى تبريرها وإعطائها معنى ومعقولية(Burhan, pp. 268-269)

وهكذا، أصبحت الحرب الثقافية بمثابة حرب باردة من نوع جديد حلت محل الحرب الباردة الكلاسيكية بين المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي حيث كانت

الرهانات سياسية . إيديولوجية؛ إنها حرب بين معسكر متطور منتشٍ بحضارته وبتقدمه وبقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان وبين باقي العالم المشتت المتخلف، المنعوت بالظلامية والعنف والحقد والأصولية وكراهيته للأجنبي، السلبي في أفعاله ومطالبه. إن العالم المتقدم الذي يعُدُّ نفسه في جنة من الأمن والحرية يعطي لنفسه حق الحماية ضد الخطر المتصاعد الذي يهدده، ذلك الخطر الذي يأتيه من تلك المناطق المهمشة والثائرة.

وهكذا يظهر، تدريجيا، توجه استراتيجي جديد ليحل محل استراتيجة الردع؛ إنها الحرب الاستباقية أو التخلص من الأخطار عن طريق التدخل العسكري والسياسي والاقتصادي والإعلامي، وهي تدخلات يصفونها دائما بأنها سريعة، أو شبيهة بالعمليات الجراحية. إنها حرب في جميع الاتجاهات تستعمل فيها كل الوسائل ضد الأديان والأمم والدول والجماعات المنادية بالوحدة الوطنية والتي ترفض بشكل واضح النظام القائم الذي تريد تلك القوى أن تكرسه. فلم تعد الحرب ضد الاعتداء أو التهديد الحقيقي أو المحتمل الصادر من الآخر، بل هي حرب ضد شبح مصطنع من أجل ملاحقته.

إن الصراعات الجديدة ليست وسيلة لتحقيق مصلحة ما، بل هي في ذاتها موظفة لخلق جو من الحرب الباردة والتوتر الدائم بهدف تبرير تحكم القوى المهيمنة في عوامل التقدم أو الحفاظ على مواقع القوة. ولهذا فإن الحرب الباردة الجديدة المفروضة على الإنسانية لم تعد ذات طابع عسكري، لأنها لا تعتمد على الوسائل الحربية التقليدية، بل تعتمد أساسا وقبل كل شيء على وسائل الإعلام أو المزاوجة بينها وبين الديبلوماسية.

إن الهدف من الحرب الإعلامية هو أن يصبح الخصم يظهر بصورة الشيطان المارد، سواء أكان أمة أو دينا أو تجمعا سياسيا أو إيديولوجيا، كل ذلك من أجل تبرير تدميره نهائيا. وهكذا يصبح التحكم في وسائل الإعلام واستعمالها

وفق إرادة القوى المهيمنة عنصرا أساسيا من عناصر استراتيجيات الهيمنة. ويتركز هذا النشاط الإعلامي على إعادة بناء صورة الآخر وتشويهها، وعن طريق هذا المسخ والتشويه تتم زعزعة العدو المزعوم وشل إرادة المقاومة لديه من جهة، وإعطاء المشروعية القانونية والأخلاقية لتدميره.

وعلى هذا الأساس، فقد أعلن بعض المتخصصين في العلاقات الدولية من أمريكا وأوروبا حربا باردة يواجه فيها الغرب العالم الإسلامي، وهي مواجهة لا مفر منها في منظورهم. وأصبحت صورة هذا العالم الإسلامي المستهدف مقترنا بالإرهاب والتطرف في مخيال الرأي العام وفي خطابات النخب المهيمنة في الغرب.

إن استراتيجيات الهيمنة الجديدة هذه ترتكز، بلا شك، على أمر واقع، وهو زيادة دور "الصورة" في تشكيل علاقات القوة والسيطرة. فكلما فقدت "الدولة الوطنية" هيبتها وصلاحيتها ولم تعد عاملا حاسما في توجيه مستقبل الأمة، فإنه ينضاف إلى صراع المصالح بين الأمم صراع يكون الر هان فيه هو القيم والرموز التي تحدد الهوية.

وهكذا، فإن التحكم في البنية الثقافية للعالم وفي البرامج وبراءات الاختراع، أو باختصار، في الإنتاج الفكري والوسائل التي تساهم في نشره، كل ذلك يمنح قدرات أكبر لضمان الهيمنة. وليس هذا التحكم مجرد ورقة رابحة في اللعبة الاستراتيجية، بل هو عامل أساسي في التفوق في أي مواجهة مستقبلية.

5.3 الثقافة والسياسة:

إن تأثير العولمة الثقافية على موازين القوة التي تحدد طبيعة السياسة على المستوى الوطني هو من جنس التأثير على مستوى العلاقات الدولية. ففي حين تبدو الأنظمة السياسية في الدول المهيمنة مستفيدة من مزيد من الشرعية بفضل العولمة، فإن الأنظمة السياسية في الدول المستضعفة تعاني، على العكس من ذلك، من فقدان الشرعية.

إن التحكم في تقنيات الإعلام والاتصال الجديدة يعزز الانفصال بين الثقافي والسياسي، والذي يحصل في الدول المتخلفة هو أن تكون السياسة في تعارض مع الإيطيقا الفردية، وتصبح الدولة هي الفاعل السياسي . العسكري الوحيد ليصبح المجتمع في حالة من اللانظام والتسيب المدني. ولكن في مراكز التحكم في التقنيات الجديدة يتراجع دور السياسي ويضيق مجاله في تنظيم الفضاء العمومي ليحل محله الثقافي بوصفه فضاء عالميا للإبداع والتنظيم. وفي هذا القطب المتقدم من العالم، حيث التحكم في التقنيات الجديدة، يرتكز المجتمع السياسي . الذي رسمت معالمه الدولة الوطنية . في تجديد وإعادة بناء ذاته على قوة المجتمع المدني وتنظيمه. أما في القطب المتخلف من العالم، أعني ما اصطلح على تسميته بدول الجنوب، حيث انعدام التحكم في البيئة التقنية، فيكون المجتمع المدني فيها فاقدا لقوة التأثير، وليس لها سوى وجود شكلي. ومن هنا يصبح السؤال مُلِحًّا حول الكيفية والوسائل التي تسمح بإعطاء حركية للمجتمع المدني وترقيته داخل المجتمعات التي تكون فيها الثقافة مفككة.

6.3 العولمة والهمجية:

إن فرص حضور ثقافة ما في المشهد الثقافي العالمي، أعني في الفضاء المشترك للإبداع والانتشار، مرهون بصفة أساسية بتوفر الإمكانات المادية (المالية)، لأنها تتطلب استثمارات ضخمة لا تستطيع تحمل عبئها إلا الدول الكبرى، ولا يتم ذلك إلا على حساب معظم ثقافات العالم الأخرى، أعني تلك لا تتوفر لديها الإمكانات المالية والتقنية، لأنها لا تستطيع أن تساير شبكات الاتصال العالمية، وتفقد بذلك قيمتها داخل الأمة ما دامت لم تعد قادرة على تلبية حاجيات المجتمع، ولا تنتج أية قيمة مضافة، وبالتالي فإنه يصبح محكوما عليها بالضمور والتلاشي أمام الثقافات العالمية والمُعولِمة.

ولكن يجب الانتباه إلى أن انتشار الثقافات الغربية المهيمنة لا يعني أن هناك استيعابا للقيم الثقافية الغربية الكلاسيكية من قبل المجتمعات المحرومة، فليس ذلك تثاقفا وتلاقحا بين الثقافات يمكن أن تستفيد منه . بصورة متساوية أو متفاوتة . كل الأمم، بل هو استلاب ومسخ ثقافي تضمحل فيه كل الفرديات، لأن الخطورة في المعطيات والسياقات الثقافية الجديدة لا تنحصر بإخضاع ثقافة مهيمنة لثقافة مستضعفة، بحيث تجعلها في خدمتها لإنتاج قيمها، بل على العكس من ذلك، تكمن هذه الخطورة في تدمير الثقافات المهمشة من حيث هي نظام منسجم من الأفكار والرموز والتمثلات المحددة للهوية-(Burhan, pp. 271 .272)

وهكذا، ففي غياب ثقافة محلية حية قادرة على استيعاب وتمثل عناصر الإبداع والتجديد، فإن المجتمعات المتخلفة لا تستفيد من العولمة . في بعدها الثقافي . من القيم العالية، بل تتنافس على اقتناء "القمامة" الثقافية والتي يمكن الحصول عليها بسهولة، بل مجانا في بعض الأحيان، مثل الأعمال الأدبية الأفلام المشحونة بمظاهر العنف والإباحية.

باختصار، يمكن القول إنه عوضا أن تستفيد المجتمعات المتخلفة من قيم الحداثة بوصفها إيطيقا كونية، فإن العلاقة التي تكرسها العولمة بين الثقافات تؤدي إلى السيطرة على الأذهان والتقويض العميق للثقافات الضعيفة، وتجعل النخب في هذه المجتمعات في خدمتها وتحت تصرفها. فليس هناك انتقال لقيم التقدم والعلم والعقلانية والإنسانية من الشمال إلى الجنوب، بل هناك انتقال للعناصر المبدعة وكل ما كان ذا قيمة حضارية وثقافية من الجنوب إلى الشمال، لتبقى مجتمعاتها في فراغ ثقافي وحضاري قاتل.

ووفقا لهذه الصورة المرسومة، فإن الفضاء الثقافي العالمي يصبح مقسما إلى فضاء ذي بنية منظمة بفضل الثقافة المبدعة للنخب العالمية من جهة، ومن

جهة ثانية إلى فضاء خالٍ من الثقافة يلجأ إليه ملايين البشر الفاقدين للمعنى والمعرفة. إنه فضاء يتم ترقيعه بفضلات الثقافة المعولمة وبقايا الثقافات التقليدية.

7.3 نحو تعميم أزمة الهوية:

إن ما يفسر تعميم أزمة الهوية في العالم هو هذا الجو الذي تفقد فيه الشعوب معالمها، وتصبح ثقافاتها عاجزة عن الصمود والبقاء في السباق ومواجهة الآلة الضخمة لوسائل الإعلام الكبيرة التي لم تعد تعترف بالحدود.

ويمكن أن نميز بين توجهين اثنين بخصوص تكوين الهوية؛ أما التوجه الأول فهو توجه إدماجي يعكس عولمة النخب من خلال الانخراط ضمن نسق مشترك من القيم، وهو نسق الكونية والعلمانية وما بعد الحداثة، حيث إن الشعوب التي تطمح في الانصهار في هذه النخبة العالمية تنزع إلى اكتساب ذهنية كونية متحررة من كل عائق إيطيقي أو قومي أو ديني. وهذه الهوية تعكس علاقة تلك الشعوب بالعالم وبالآخر. أما التوجه الثاني، فهو توجه نحو التشرذم والانفصال، تحركه رغبة جامحة في التميز والخصوصية، حيث نجد هذه الهويات المحلية الصغيرة الضعيفة تتشبث بأمور متغيرة سريعة الزوال، وبانتماءات وعلاقات قرابة مفتعلة وظرفية. فالتميز والخصوصية عند هذه الهويات المتشرذمة يتحقق بالانفصال والابتعاد والتقوقع على الذات، فهي تتشكل بالاستناد إلى رفض الآخر والحذر منه وعدم الثقة فيه(Burhan, p. 273).

إن ظهور هذين التوجهين المتعارضين في تكوين الهوية وبناء الذات يحدثان صدعا في الهوية لا يمكن رأبه سواء على مستوى المجتمع نفسه أو على مستوى الإنسانية قاطبة، حيث يشجع ذلك على تقويض اللاتوازن النفسي لدى المجتمعات، وعلى تنامي كل أشكال العنصرية والكراهية، وتفاقم الغبن الأخلاقي والفكري، ويهدد التنوع الثقافي.

8.3 العولمة اللغوية:

لكل شعب وفرد هوية تميزه عن غيره فلا وجود لهوية ثقافية خارج إطار اللغة وتعدد اللغات هو الميزة الأساسية للتنوع الثقافي فتعتبر اللغة قوة تبرز سيادة الدولة وثقافتها حيث نصت المادة الأولى من الإعلان الصادر عنها في 1966/11/3 على ان "لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامهما، ومن حق كل شعب ومن واجبه أن ينمي ثقافته" (خريسان، صفحة 140).

فالاعتزاز باللغة ليس للغة في ذاتها بل اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة ولهذا تعتبر اللغة مقوما أساسيا من مقومات الأمة فالأمم التي تحافظ على لغتها هي الأكثر استقرارا لكن من أهم تأثيرات العولمة هي العولمة اللغوية نتيجة لتكييف الثقافات المحلية حسب الثقافات المهيمنة استهلاكيا وذوقيا ولغويا تحت تأثير إغراءات خضعت لها الشعوب ومست خصوصيتها وهويتها الثقافية والفكرية والحضارية وهنا برزت اللغة الإنجليزية ثقافة القطب المهيمن والمسيطر على ثقافة المغلوب ومظاهر عولمة اللغة الإنجليزية انها أصبحت أنها أصبحت لغة الانترنت تحت شعار العالم قرية كونية لا حدود لها ولا دولة ولا مكان فلابد من فرض لغة كونية عالمية ما يؤدي إلى إضعاف اللغات الأخرى وهذا يشكل خطر بل ويهدد ذوبان الثقافة اللغوية ويهدد سيادة الدولة فيقول أجد الكتاب "إن الأمة العاجزة على المحافظة على جوهر كينونتها وروحها الحضاري والدفاع عن خصوصيتها ... أي القابلة للذوبان في أي محلول حضاري غريب عنها، ليست جديرة بالبقاء ولن تجد من يأسف عنها، عزت السيد أحمد وانهيار مزاعم العولمة قراءة في تواصل الحضارات وصراعها ومن مظاهر عولمة اللغة وبالأخص الإنجليزية أنها أصبحت الاستخدام المهول للغة في رسائل التواصل الاجتماعي بعد هيمنة النظام الرأسمالي على العالم والإعلامية والاقتصادية وفرضه للغة في النظام العالمي الجديد

للانفتاح العالمي ونشر الوعي وتسهيل للمعاملات الاقتصادية والتجارية لكن هذا الانفتاح تخول لهيمنة ثقافية لغوية.

9.3 العولمة والدين:

منذ القدم يلعب الدين دورا قويا وفعالا في إبراز وتحديد القيم الاجتماعية الدينية الثقافية الجمالية العقلانية لما له دور فعال في تحديد معالم المجتمع.

تؤدي العولمة إلى ظهور نوع من الانشطار الاجتماعي ما أدى إلى ظهور وتداخل الثقافات الدينية المتمايزة وما لا يمكن إنكاره أن الشؤون الدينية طالتها كذلك العولمة فالجو الديني هو المجال الذي يشمل النطاق الاجتماعي لعمل الدين، فالجو الديني يرتبط بصلة وثيقة مع الثقافة العامة، وهو يتعرض لتغيرات مهمة (حسين).

لا يمكن إنكار انعكاس العولمة على المجتمع وهويته وثقافته ودينه ما جعل الدين تحت التهديد بالذوبان والاضمحلال فلقد مست الانتماء الديني وأضعفته بل وأذابته في قالب الثقافة الغربية من صياغة مدنية، فردية واجتماعية ولدت الصراع مع مختلف الحضارة بالأخص الدينية وبالأخص الدين الإسلامي وهذا ما يبينه صامويل هنتغتون في صدام الحضارات هذا الصراع نتج عنه ظهور حركات اجتماعية دينية هدفها مواجهة النظام العالي الجديد ما سبب بظهور نزعات متطرفة وتنظيمات إرهابية فالعولمة هي السلاح العسكري الجديد الخطي الذي يصيب هدفه ويفتك به لكن دون قطرة دم للقضاء على كل حضارة وموروثها الديني فالتفوق الغربي يتميز بعدم التسامح مع باقي الحضارات والديانات والثقافات وتناقص الدور الفعال للدين ويرجع ذلك لتخلي المؤسسات الرسمية الدينية عن دورها الفعال في تنشئة أفراد المجتمع كما في الماضي ما يشكل خطورة كبيرة لإنهاك وخرق للقيم الدينية لما له من تداعيات أخلاقية، سلوكية، ثقافية ...

فيقول الفرنسي روجيه غارودي في تركيزه على الجانب الإيديولوجي فيقول "إنها نظام يمكن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات الإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق" (غارودي، 1998، صفحة 17)

وهنا يركز هذا البعد الإيديولوجي على ما تحمله العولمة من صور للهيمنة.

10.3 العولمة والعلمانية:

تعرف بـ "سيكولاريزم" وتعني إقصاء المعتقدات الدينية عن أمور الحياة((htt وتدعو للفصل بين الدين والسياسة(العظمة، صفحة 156)، فهي الدعوة إلى التحرر من القيود الدينية ويبقى دور الدين تعليم اتباعهم شعائر الدين فيما يتعلق بالآخرة بالنسبة للمسيحية لكن يرفض تماما في الدين الإسلامي العلمانية.

تشمل العلمانية عدة مجالات أهمها الشخصية التي تحدد قيمة كل فرد دون الرجوع إلى معتقده الديني والعلمانية السياسية تؤيد وتدعو بل وترفض استقلالية السياسة عن الانتماء الديني والعلمانية المجتمعية أي استقلالية المجتمع المدني بأفراده عن الطوائف وهنا تلغي أي تدخل ديني أو مذاهب أو نزاعات أو اتجاهات دينية، أما في الجانب الاجتماعي وتعرف بالعلمانية المؤسسية وهي استقلالية المؤسسات التربوية والصحية والاجتماعية عن الدين والمجالس الدينية والتدخل الديني وأهم ما يهمنا هو العلمانية القيمة أي استقلالية القيم الإنسانية كالعدالة والمساواة والحرية والتعاون والتسامح والشورى الصادرة من الدين.

لقد انقسمت العلمانية بين ما هي جزئية وما هي شاملة فالعلمانية الجزئية لا تنكر وجود مطلقات أخلاقية، غيبية وما ورائيات أما العلمانية الشاملة تحاول تحييد علاقة الدين والقيم المطلقة في كل مجالات الحياة فالإنسان يغلب عليه الطابع المادي لا الروحي إذ كانت العلمانية محصورة بالمجالين الاقتصادي

والسياسي لكن بالتغلغل الشديد للعولمة لحياة الإنسان بعيدة عن الغيبيات والانتماءات الدينية وتبنت العلمانية المادية والعلم منفصلين عن القيم وحتى حركة السوق التي أصبحت خالية من القيم وهذا يبرز أن العولمة تسعى لهدم الحدود والفواصل والتوحد بين شعوب العالم لتحتمل مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية والثقافية لتستهدف إبعاد القيم الدينية والأخلاقية للمجتمع فالعلمانية تقوم بتمييع الهوية الدينية وإسقاطها لتجهيز الطريق للعولمة حتى تجد مجتمع مميع خال من المقومات والهوية والانتماءات الدينية.

وبعد...أية حلول لمواجهة التحديات الثقافية للعولمة؟

إن الإستراتيجية التي تدافع عنها الشركات متعددة الجنسيات في صناعة الثقافة ليست مبنية على اعتبارات ثقافية فحسب، بل هي جزء من إستراتيجية عالمية تهدف إلى احتلال موقع الريادة العالمية في مجال الثقافة. فوسائل الإعلام في زمن العولمة هي التي تصنع ثقافة الغد وتحدد اهتماماتها ومعاييرها وقيمها ورؤيتها للحياة وأجندتها الفكرية؛ إنها تجسد تَّحَكُّم فئة قليلة من المؤسسات والمجموعات الصناعية في الفضاء الثقافي كافة. فما العمل تجاه هذا الوضع؟

إن مواجهة أخطار المسخ الثقافي والتسيب والتهميش الجماعي وخطر أزمة هُوِيَاتية عامة نتيجتها التصفية العرقية، لا يمكن أن تكون ذات طابع وطني، بل يجب مواجهة الآثار السلبية للعولمة عن طريق عمل مشترك منسق من أجل حماية الإنسانية من خراب ثقافي شامل، ولا يتحقق ذلك إلا بالتضامن الحقيقي بين بني البشر، وإلا فإن التأثير السلبي الذي ستحدثه ثورة الإعلام والاتصال على المجال الثقافي سيكون من جنس التأثير السلبي الذي أحدثته الثورة الصناعية على مصير الصناعات الحرفية المحلية، حيث أدى الإنتاج الضخم للسلع إلى زعزعة النشاط الاقتصادي في الأسواق الوطنية المحلية، بل إلى اختفاء الاقتصاد المرتبط

بالصناعات الحرفية. وهذه هي في واقع الأمر نتيجة التحولات التقنية والتكنولوجية، حيث تؤدي بالضرورة إلى اتساع الهوة بين مختلف الأطراف، وليس ثمة من مخرج لتفادي هذا المصير المأسوي إلا بتوفر سياسة تعمل على دعم التطور الثقافي للدول المستضعفة. ولهذا يجب فتح باب الحوار الشامل بين مختلف الأطراف الفاعلة من أجل بناء استراتيجية لتوفير الوسائل الملائمة لحماية التراث الثقافي الإنساني، ومن أجل مواجهة خطر الخراب الأخلاقي والفكري.

إنه لخطر داهم يهدد البشرية قاطبة إذا تحولت القيم الإنسانية إلى سلعة للمتاجرة؛ فكما أن المجتمع الدولي حريص على حماية الآثار التاريخية القديمة، فكذلك لا ينبغي له أن يتردد في حماية الثقافات المهددة بنفس الوسائل وبنفس العزيمة. ولهذا، فإنه بمقدور المجتمع الدولي أن يجعل العالم يتفادى خطر التهميش والحرمان الثقافيين لملايين البشر، وذلك بتبنيه لأدوات قانونية وتوفير الإمكانات المادية من أجل الدعم التقني والمالي لتلك الثقافات والمجتمعات.

إن كل شيء يتغير في المجتمع هو تغير اجتماعي فالتغير ظاهرة طبيعية تصطدم الشعوب برياح التغير التي فرضتها العولمة وسوقت لها في جميع المجالات وذلك لتشويه الهوية والقضاء على ثقافات المجتمع والتنوع الثقافي على أوسع نطاق لكن يجب التصدي لهذه الحرب الثقافية ومواجهتها لذلك فالسلطة الأولى هي الدولة يجب أن ترجع سيادتها وترفض أي تجاوز واختراق لسيادتها ومقوماتها وتفرض استعدادها وذلك بتجهيز جميع مؤسساتها الاجتماعية الثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية ويجب الاستفادة من التطور التكنولوجي والإعلام والاتصال ويجب بلوغ الثقافة الحية وهي التي تتفاعل مع المحيط الثقافي تفاعلا إيجابيا وتجعل لنفسها مكانا في الثقافات العالمية، كذلك لا بد من صيانة التنوع الثقافي والتميز بالتسامح الذي تخلت عنه العولمة للتخلص من النزاع الثقافي والحضاري.

وذلك بالانفتاح الثقافي ويعني استغلال جميع الفرص التي تتيحها العولمة من أجل تجديد الثقافات بجعلها حية. أي يمكن إبراز خصوصية لكن دون إلغاء ثقافة الآخر فالرفض المطلق للعولمة لن يمكن الدول من تجاوز مخاطرها على القيم الاجتماعية وغيرها ولا القبول المطلق يمكننا كذلك بل يجب الاعتدال في العولمة بمعنى الأخذ من العولمة ما يخدم كل ما يلغي هويتها لبناء نظام إعلامي قوي ومسيطر يحافظ على الأمة وقيمها.

إذ الدين الإسلامي دين عالمي لقوله تعالى "يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا" (سورة الأعراف الآية 158) وقال تعالى أيضا: "إن هو إلا ذكر للعالمين" (سورة التكوير الآية 27) ويتسامح مع جميع الحضارات والديانات والثقافات فيجب تقوية الوازع الديني لدى الأفراد حتى يتم مواجهة ومحاربة ما تم إفساده فالوازع الديني يحمي الفرد من مخاطر وانزلاقات لا يمكن تجاهلها كذلك مراعاة خصوصية المجتمع العربي الإسلامي من النواحي المختلفة الثقافية والاجتماعية.

4. خاتمة:

تعد القيم الاجتماعية الثقافية والأخلاقية من أقوى ما تبقى به المجتمعات ومن أهم الروابط التي تربط بين أفراد المجتمع فهي الركيزة الأساسية التي تبنى عليها المجتمعات وتتغير بها فأي تغير يحدث في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أبرزها العولمة التي أصبحت المسيطرة والمهيمنة على العالم فالعولمة هي أحدث أشكال النظام الرأسمالي الدولي والذي يخدم مصالح القوى العظمى ما أدى إلى ظهور قيم جديدة أثرت على القيم الأصلية ما أدى لصراع الحضارات وأزمة الهوية وتفسيخ الثقافة فكان لابد من دراسة القيم الاجتماعية في زمن العولمة وكيف يمكن مواجهة تحديات العولمة والتكيف معها بما هو إيجابي وعدم خلع لباس القيم الاجتماعية التي تضع الأخلاق والمبادئ والأسس للمجتمع وتبرز هوية وثقافة المجتمعات كما قال أحد الكتاب: "إن الأمة العاجزة عن المحافظة على جوهر كينونتها، وروحها الحضاري والدفاع عن خصوصيتها ... أي القابلة للذوبان في أي محلول حضاري غريب عنها، ليست جديرة بالبقاء، ولن تجد من يأسف عنها".

5.المراجع باللغة العربية

- العظمة، ع .(s.d.) .العلمانية تحت المجهر .
- المصايطة، خ. ع .(2000) .علم النفس الاجتماعي .عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- حسن، ع. ا .(1964) .التغير الاجتماعي في المجتمع الاشتراكي في قراءات في الخدمة الاجتماعية لأحمد كمال وآخرون .القاهرة: مكتبة القاهرة.
- حسين، ع. ع .(s.d.) .انعكاس العولمة على الهوية والجو الديني .مؤتمر الاعتدار في الدين والسياسة.
- خريسان، ب. ع .(s.d.) .العولمة والتحدي الثقافي .
- خليفة، ع. ا .(1992) .ارتقاء القيم (دراسة نفسية) .الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب.
- عودة، و) .أفريل 1997 .(التطورات الاقتصادية العالمية واتجاهات العولمة .بيروت: مجلة أوراق اقتصادية العدد 13.
- غارودي، ر .(1998) .العولمة المزعومة، الواقع، الجذور، البدائل، ترجمة محمد السيطلي .صنعاء: دار الشكواني للنشر والتوزيع.

6. المراجع باللغة الفرنسية:

- (s.d.). Récupéré sur https://an.wikipedia.org/wiki
- Burhan, G. (s.d.). globalisation déculturation et crise d'identité . in afters internacials, n° 43-44.